

الوحدة طريقنا

حركة القوميين العرب في العراق ، ت ١ ، ١٩٥٨

نحو وحدة فورية ما بين العراق والجمهورية العربية المتحدة

في فجر الرابع عشر من تموز هذا العام، حقق النضال العربي نصرا قوميا تاريخيا عظيما حين قام الشعب العربي بقيادة جيشه الباسل في العراق بثورته الجبارة ضد العبودية والرجعية والحكم الملكي الفاسد، فأطاح بسيطرة الاستعمار في أكثر اجزاء الوطن العربي حيوية وحساسية وحطم اقوى وأرسخ قلاع الرجعية العربية ، وحرر الشعب العربي في العراق من القيود الثقيلة التي كبله بها الاستعمار والرجعية لعزله عن جسم الامة العربية ومنعه من المشاركة و معركة التحرير والتوحيد التي تخوضها الامة اليوم في جميع ارجاء الوطن الكبير .

وهذه التغيرات العميقة التي تدور في وطننا في هذه الفترة، انما تشكل نقاط انعطاف بارزة في معالم حياتنا القومية الراهنة لانها تسجل علامات زحفنا القومي من عصور العبودية البشعة و ما رافقها من استبداد وذل واستغلال إلى عهد الحرية المشرقة بعيدا عن عبودية الاستعمار وأغلاله وطغيان الرجعية واستغلالها، ومن عصور التجزئة المصطنعة القهرية التي فرضت علينا الى عهد الوحدة العربية التامة، الوضع الطبيعي لأمة العرب الواحدة .

لقد أظهرت تجارب نضالنا الطويل وأكدت النكبة فيما بعد بصورة واضحة ان التجزئة و الاستعمار هما العدو الرئيسيان للأمة العربية وانهما كانا المرتكز الاول في خلق العدو الثالث "اسرائيل" وتدعيم ركائز الرجعية العربية كما كانا السند الاساسي في تغذية الظلم والفساد الاقتصادي الاجتماعي ومنع أية نهضة قومية صحيحة في هذا الميدان . وأن تاريخ الاستعمار مرتبط كل الارتباط بتاريخ التجزئة، فحيثما كان يحل الاستعمار حلت التجزئة، لأن الاستعمار كان يدرك تمام الادراك ان الوسيلة المثلى لفرض سيطرته على العرب هي اضعافهم بتجزئتهم جغرافيا وسياسيا واقتصاديا ليسهل عليه السيطرة على كل جزء على حدة .

لقد جزأ الاستعمار الوطن العربي وأقام لكل جزء حدوده وحواجزه الخاصة و اقتصاده الخاص وسياسته الخاصة ليحول بذلك دود تفاعل قوى الشعب العربي في وحدة نضالية قادرة على مجابهته ومجابهة الرجعية المتحالفة معه في أنحاء الوطن وتصفيتهما نهائيا، وليحول دون امتزاج

امكانيات وثروات الشعب العربي امتزاجا متكاملًا في وسط موحد قادر على تحقيق نهضة اقتصادية اجتماعية شاملة جذرية.

وقامت- بدعم الاستعمار- في كل جزء فئة رجعية بلورت وجودها ومصالحها وارتباطاتها بحدود الكيانات الهزيلة خطوة وحدوية أو تحررية جدية .

وأن العدوان الثلاثي المسلح الذي شن على مصر كما قصد به إعادة سيطرة الاستعمار الذي طردته الثورة وتوجيه ضربة قاصمة للنضال العربي التحرري ، كذلك كان نتيجة الهلع الشديد الذي اصاب الاستعمار واليهود حين وجدوا ان حدود التجزئة بدأت تتطاير أمام الوعي القومي الذي اخذ يدفع بوحدة مصر وسورية في طريق التحقيق، هذا من جهة ، وحين رأوا المد القومي العربي الجارف الذي اخذ يرحف من المشرق نحو المغرب العربي مؤكدا مفهوم وحدة النضال العربي و وحدة المعركة العربية.

ان هذا الترابط العضوي الوثيق بين الاستعمار والتجزئة قد جعل معركتي التحرر والوحدة الجناحين اللذين تقوم عليهما معركة الامة الواحدة . كل خطوة تحررية نحرزها انما تقربنا من الوحدة وكل خطوة وحدوية نحققها انما تزيد قدرتنا على تصفية الاستعمار، وهذا التلازم الوثيق بين معركة الوحدة والتحرر انما يجعل اية محاولة لفصلهما انما هي بالاحتمية تفكيك مصطنع للمعركة العربية لن تكون نتيجته الا اضعاف نضالنا في هذه المعركة ولن يفيد منه سوى الجبهة الاستعمارية الرجعية.

وهذه العلاقة بين الاستعمار والتجزئة والتي اصبحت في الواقع القاعدة السياسية التي توجه سياسة الجبهة الاستعمارية الرجعية في وطننا، لا تبرز فقط حيث كانت هذه الجبهة تتخذ فيها موقفا هجوميا مباشرا من حركة النضال العربي، بل تبرز في كل مواقفها وسياساتها المباشرة وغير المباشرة.

فكما كانت اشكال السيطرة الاستعمارية تتغير حسب اشتداد او خفوت حدة حركة النضال العربي التحرري متراوحة ما بين الاستعمار المباشر او الانتداب او المعاهدات والاحلاف، كذلك كان يقابل هذا التغيير في التكتيك الاستعماري الرجعي تجاه نضال التحرر- لامتصاص النقمة الشعبية ضد الاستعمار- تكتيك مقابل تجاه نضال الوحدة لامتصاص النقمة الشعبية ضد التجزئة.

هكذا جاءت جامعة الدول العربية في موائيقها ونظمها وملابسات نشأتها تعبر في حقيقتها عن عملية تستهدف امتصاص وعي الشعب المتزايد للوحدة العربية بالهائه بهيكل مشوه لهذه الوحدة.

والاتحاد الهاشمي الذي قام بين حكام العراق والاردن قبل ثورة العراق الجبارة لم يكن الا تلاؤما رجعيا قصد به امتصاص نقمة الشعب العربي في الجزئين ضد واقع التجزئة بعد ان قامت الجمهورية العربية المتحدة واقعا حيا ملموسا ، وموازنة هذه الخطوة الوحدوية السليمة بهيكل مشوه للوحدة يقف في مقابلها.

والاتحاد الفيدرالي الذي يعمل الاستعمار والرجعية على اقامته بين أجزاء المغرب العربي انما يقصد به شد المغرب العربي عن التوجه نحو الحركة القومية العربية التي تجيش في المشرق

وامتصاص نقمة الشعب العربي في المغرب ضد التجزئة بالهائه بنموذج ممسوخ للوحدة يقف في مقابل وحدة مصر وسورية.

ولا يشذ مشروع اتحاد المحميات في الجنوب العربي عن هذه القاعدة.

وبغض النظر عن مناقشة جدوى هذه الاشكال الوحدوية المشوهة فإنه يبدو بوضوح : انه كما لم تكن تبدلات اشكال السيطرة الاستعمارية الرجعية سوى تلاؤما استعماريًا رجعيًا مع ضغط النضال التحرري لم يكن ليتجاوز حدودا معينة مرسومة بما يؤدي الى اي تبديل جذري في معركة التحرير، كذلك لم تكن الاشكال الوحدوية التي تقيمها الجبهة الرجعية الاستعمارية سوى تلاؤم مفصوح مع ضغط النضال الوحدوي لم يكن كذلك ليؤدي لأي تبديل في معركة التوحيد. وبقيت دوما الاشكال المختلفة للسيطرة الاستعمارية تجسيدا مستورا للاستعمار تماما كما جاءت هذه الاشكال الوحدوية تجسيدا مبطنا للتجزئة.

في مقابل هذه التيارات التي كانت تعمل لطمس المفهوم السليم والخط النضالي السليم لمعركة الوحدة والتي كانت تتحدد في نطاق الوسط الرجعي او الانتهازي، بدأت تنتشر كذلك في الوسط الشعبي مفاهيم نضالية خاطئة أخذت تلقى بعض الرواج الشعبي نظرا لارتباطها بفئات عرف عنها معاداتها للاستعمار ونزعتها التقدمية.

كانت هذه المفاهيم تعمل على توجيه قوى النضال الشعبي تحت شعار: " التحرر اولا ثم نفكر بالوحدة فيما بعد ". ولدت هذه الدعوة منطقية للكثيرين نظرا لوجود الاستعمار في الوطن وكونه العقبة الكأداء الأولى في طريق الوحدة، فكان من الطبيعي- من وجهة النظر هذه- ان يكون الوجه الغالب لنضالنا نضالا تحرريا ضد الاستعمار ومعركتنا معركة تحررية بالدرجة الاولى، وبعد تحقيق هذه الخطوة نفكر بالخطوات التالية ! وقد غاب عن اذهان الذين انجرفوا في تيار هذه الدعوة الخطأ النضالي الاستراتيجي الكبير الذي يمكن ان تقع فيه معركة الوحدة خاصة ومعركتنا القومية عامة نتيجة هذا التوجيه النضالي الخاطى . ذلك ان هناك فرقا كبيرا بين التوجيه النضالي القومي الذي يعتبر معركة الامة القومية كلا لا يتجرأ، ويعتبر الكفاح الشعبي بالتالي منذ بدايته الاولى كفاحا تحرريا وحدويا لا ينفصل، كفاحا يعبئ القوى الشعبية ضد الاستعمار والرجعية لا لتسلطهما على مقدرات الشعب واستبدادهما واستغلالهما فحسب بل لكونهما يعملان على ترسيخ التجزئة ويقفان سداً منيعا دون الوحدة.

وبين التوجيه النضالي الذي يعتبر التحرر من الاستعمار غاية في حد ذاته ولا يهيمه هدف الوحدة في قليل او كثير، وهو اذ يركز أنظار الشعب حول الاستعمار فانما يتجاهل- عن اغراض او عن طيبة قاصرة- ان وحدة الامة ومتطلبات وحدة المعركة العربية تفرضان كون النضال العربي نضالا تحرريا وحدويا كل تجزئة فيه ستؤدي الى تجزئة المعركة القومية وتضع علامة تساؤل كبرى حول امكانية قيام اية نهضة اقتصادية اجتماعية جذرية شاملة.

ان التوجيه النضالي القومي السليم في الحالة الاولى اذ يعتبر معركتنا القومية ضد التجزئة والاستعمار والرجعية والخطر اليهودي حلقة مترابطة تمهد لدورها الطريق للنهوض الشامل فانما ينطلق من أساس قومي واضح : التحرر في سبيل الوحدة والوحدة لضمان التحرر

والنهوض القومي الشامل . وهو وان كان يدرك ان لمعركتنا القومية وجهين سياسي واجتماعي وان ظروف وطبيعة المعركة النضالية تقتضي بعض التأخير والتقديم، فانما يعتبر ذلك قضية توقيت ويحرص بالتالي في كل لحظة من لحظات المعركة على ان يوضح لجماهير الشعب المناضلة الوحدة العضوية التي تشد جوانب المعركة القومية، وهو اذ يطرح بهذا شعاراته وأهدافه واضحة منذ بداية الطريق انما يجنب النضال العربي ان يقف حائرا بعد التحرر من الاستعمار امام مرحلة جديدة لا يدري ما يتلوها ويكون مجالا لان يقع تحت تأثير التوجيه الرجعي او الانتهاري او الشعبوي.

بينما التوجيه النضالي في الحالة الثانية اذ يتخذ- عن اغراض او تضليل- من الاستعمار حجة لابعاد الوحدة فانما تصبح القضية عندئذ قضية فصل وتجزئة لا قضية توقيت ولا يمكن لمثل هذا التوجيه النضالي الخاطئ الذي يفصل فصلا مصطنعا بين الوحدة والتحرر الا ان يؤدي الى تثبيت مفهوم " التحرر الاقليمي " و"الاستقلال الكياني"، وجاءت الاجزاء العربية التي تحررت وظلت تعيش في ظل التجزئة البغيضة تعطي مثلا حيا عن هذه المفاهيم النضالية المغلوطة.

ان هذه التيارات التي كانت تتجاذب معركة الوحدة العربية سواء ما كان منها يتمثل بعمل الرجعية لإلهاء الشعب بهياكل مشوهة للوحدة او عمل الانتهازية العربية للوقوف بالنضال العربي عند حد التحرر الاقليمي وعدم اتخاذ اية خطوة جدية في طريق الوحدة، أو هذه المفاهيم التوجيهية النضالية الخاطئة التي تعمل لفصل معركة التحرر عن معركة الوحدة، انما تلتقي كلها في مركز واحد مهما اختلفت نقاط انطلاقها او غاياتها هو : محاولة امتصاص وتخدير وعي الشعب المندفع للوحدة العربية والعمل على الانحراف بمعركة الوحدة عن الخط القومي النضالي السليم وتجزئة معركة الامة الواحدة.

وهكذا جعل هذا التلازم الوثيق بين التجزئة وبين سيطرة الاستعمار والرجعية والانتهازية المصلحية، و من ثم بين التجزئة وتفشي التخلف والفساد والظلم الاقتصادي الاجتماعي للوحدة اهمية نضالية خاصة في معركتنا القومية نحن العرب. فمذ اصبحت التجزئة مرادفة لبقاء الاستعمار والرجعية والتخلف العام اصبحت الوحدة مرادفا للتحرر والنهوض، واصبحت معركة الوحدة مركز الثقل في المعركة القومية. بمختلف جوانبها.

فان نضال عربي مثمر ضد الاستعمار والرجعية و معركة التحرير، او ضد الاغتصاب اليهودي في معركة الثأر، او ضد المجتمع العربي الفاسد في معركة النهوض الاقتصادي الاجتماعي الشامل، انما هو مرتبط ارتباطا عضويا لا ينفصل بنضالنا ضد التجزئة في معركة الوحدة، ولا يمكن ان نحقق اي تقدم جذري حاسم في هذه المعركة القومية بشقيها السياسي والاجتماعي ما لم ننطلق من هذه الحقيقة النضالية الأساسية ونجعلها القاعدة التي توجه كفاحنا القومي اليومي نحو أهدافنا العظيمة.

وازاء هذه المعاني الواضحة للمعركة العربية كان لا بد لحركة النضال العربي وقد وصلت مستوى من الوعي يمكنها من ادراك الخط السليم الذي يجب ان تسير فيه هذه المعركة، ومن كشف الزيف في التوجيه السياسي الرجعي او الانتهاري او الشعبوي ، كان لا بد لحركة النضال

العربي من ان تقف بحزم لتقطع الطريق على هذه التيارات المغرضة و المفاهيم المغلوطة بتحديد الشعارات و المفاهيم القومية النضالية الصحيحة للمعركة العربية.

وهكذا جاءت الانتصارات النضالية الكبيرة التي حققناها خلال هذه السنوات في معركة الاحلاف وعدم الانحياز وتأكيد شخصيتنا المستقلة في الصراع الدولي ومعركة منع السلاح والضغط السياسي والحصار الاقتصادي ثم هذه الانتفاضات التحررية المتوالية في كل جزء عربي وأخيرا وحدة مصر وسورية وثورة العراق ، كلها ثمرة تؤكد هذه المفاهيم النضالية الصحيحة في المعركة العربية. وكما كانت القاعدة في السنوات الماضية ستبقى كذلك في المستقبل. وكل تقدم جدّي جديد يحققه كفاحنا القومي مشروط بقدر ما نتأكد في نفوس قادة و جماهير النضال وحدة المعركة العربية ككل لا يتجزأ وتتضح العلاقة العضوية الوثيقة التي تربط التجزئة بالاستعمار والاحتصاب اليهودي والتخلف القومي العام ، وبمقدار ما ينجح الكفاح الشعبي في انتزاع قيادة المعركة من يد الرجعية والانتهازية والشعوبية العربية ليضعها بيد قيادة قومية واعية مخلصه يدعمها و عي شعبي عقائدي راسخ .

الوحدة.. فورا

واليوم ونحن نستقبل بشارت الحرية في العراق بعد سنوات طويلة من الكفاح ضد عبودية الاستعمار وطغيان الرجعية، يتحتم علينا ان نعي هذه الحقائق النضالية بعمق و اخلاص لكي يأتي موقفنا منسجما مع حقيقتنا كأمة عربية واحدة ومع متطلبات معركتنا القومية الشاملة. اننا لم نعتبر التحرر يوما غاية بحد ذاته ، ومنذ اول يوم بدأ فيه كفاحنا الطويل ، كما كنا نقاتل كابوس الاستعمار والرجعية كذلك كنا نقاتل السياسة التي رسمت باحكام لعزلنا عن جسم الامة العربية.. كنا نقاتل التجزئة. واليوم وقد حطم نضالنا المجيد اطواق الاستعمار والرجعية الثقيلة، فانما قد وضعنا هذه الانتفاضة التحررية الجبارة شعبا وهيئات وحكومة وجها لوجه امام مطلب الوحدة، واصبحت كل محاولة للوقوف بثورتنا عند حدها الحالي انما هي تناقض واضح مع حقيقتنا القومية العربية الواحدة وتجاهل صريح للخط الذي سار فيه كفاحنا منذ ان وطئ ارضا اول جندي اجنبي، وتعام عن مستلزمات الحفاظ على ثورتنا المباركة ومتطلبات معركتنا القومية الشاملة.

لقد تحدد طريقنا بما لا يقبل اي لبس او الهام او تأجيل بعد اليوم بأنه طريق الوحدة الفورية التامة مع نواة الوحدة العربية المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة.

فالوحدة هي ضمان حريتنا والسبيل الاكيد لانتصار نضالنا التحرري

ذلك ان الحرية ليست حالة مجردة عن الواقع الذي تنشأ فيه الظروف التي تحيط بها. ان الوصول الى الحرية الحقيقية كما يحتاج الى نضال منظم مرير ضد الاستعمار والرجعية الحاكمة كذلك يحتاج الى قوة سياسية واقتصادية وعسكرية تدعم هذه الحرية وتصونها وتجنبها اية نكسة مفاجئة قد توقعها ثانية تحت نفوذ الاستعمار أو اي قوة أجنبية اخرى نتيجة الحاجة المادية والتخلف الاقتصادي او الضعف العسكري والسياسي . ومثل هذه القوة لا تتوفر لأي جزء عربي في ظل الكيانات الصغيرة المبعثرة. ان الحرية بدون الوحدة هي حرية منقوصة ستبقى دوما تقتقر الى

الثبات والاستقرار وستبقى دوما مهددة بالانتكاسات والمؤامرات ولا تأخذ الحرية معناها الصحيح ومداهما الحيوي الممتد إلا في ظل الوحدة العربية. فكما كانت التجزئة ولا تزال هي البؤرة التي تتعمق فيها سيطرة الاستعمار والرجعية، فالوحدة هي الوسط الطبيعي الذي تنمو وتترعرع فيه الحرية وهي الصمانة الأكيدة للحفاظ عليها وفي تجارب نضالنا الطويل وواقعا الحالي عشرات الأمثلة الحية على هذه الحقيقة.

فان فترة الحرية القصيرة التي نعم بها الاردن لم تحل دون نجاح الردة المعاكسة التي قام بها الاستعمار وعملاؤه ودون عودة السيطرة الاستعمارية القائمة على الحديد والنار. ولو اتبعت هذه الخطوة التحررية بالوحدة الفورية مع سورية لما كان الاردن اليوم يرزح تحت وطأة الاستعمار ولما عادت قوات الاحتلال البريطانية للاردن و لم يمض على خروجها بضعة عشر شهرا.

والحرية التي يظن البعض ان اقطار المغرب العربي قد حصلت عليها نشهد كل يوم عشرات الامثلة على امتنانها ممثلة بمواقف الاستعمار الفرنسي التي تتراوح من الضغط السياسي حتى الاعتداءات العسكرية المسلحة فضلا عن القواعد العسكرية التي تجثم على صدر الشعب العربي هناك. وما كان الوضع في المغرب العربي يستمر على هذا الشكل لو ان التحرر الجزئي الذي حصل عليه الشعب العربي اتبع بوحدة شعبية سليمة تخلق في المغرب .

تشرين الأول ١٩٥٨